

استراتيجيات تشكل السيري والتاريخي وتعالقهما في رواية "مملكة الزيوان" للصديق حاج احمد

Strategies for the formation of the biographical and historical and their relationship in the novel "Mamlakat Al-Ziwan» by Seddik Hadj Ahmed

أم الخير كديد^{1*}، عقيلة مصيطفي²

¹ جامعة غرداية (الجزائر)، مخبر تحليل الخطاب والدراسات المعجمية والأدبية المقارنة، Oumelkhir472016@gmail.com

² جامعة غرداية (الجزائر)، مخبر تحليل الخطاب والدراسات المعجمية والأدبية المقارنة، aKilamessai07@gmail.com

Oum El Khir KDAID^{1*}, Akila Messaitfa²

¹ Ghardaia University (Algeria) & ² Ghardaia University (Algeria).

تاريخ النشر: 2023/01/25

تاريخ القبول: 2022/11/13

تاريخ الاستلام: 2021/08/01

ملخص:

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تسلط الضوء على قضية علاقة الرواية كقصّة متخيّلة غالبا بالتاريخ والواقع من جهة وعلاقتها بفن السيرة من جهة أخرى في ظل حوارية الأجناس الأدبية على مستوى نص رواية "مملكة الزيوان" للصديق حاج احمد الزيواني، وتبين أنه حشد في نصه هذا مكونات فنية متنوعة للوصول لاختراق من خلالها الحدود بين الأجناس، وانفتح خطابه السردى على مكونات جمالية أخرى، تتجاوز خصائصها الفنية مختربة حدود النوع، فاستحضر البعد التاريخي وأحسن تعالقه مع فنيات السيرة الذاتية، وتمكن من ترهينهما للحاضر في شيء من التناغم والانسجام، وتشكيلهما وفق رؤية جديدة، إلى درجة يصعب الفصل بينهما مستخدما عددا من تقنيات التوظيف والاستحضار لتحقيق التعالق في الخطاب السردى عنده بين التاريخ والسيرة الذاتية كمادة مستلهمة، فلم يحتفظ كل جنس بمعياره الخاصة فلاهي سيرة ذاتية ولا رواية تاريخية، إذ وقع التمازج والتفاعل بين محدداتهما الفاصلة فساهم ذلك في تطوير الخطاب الروائي عند الزيواني، وغدت بذلك روايته مدونة مرجعية، تمكن الأجيال الآتية من التناص معها في مستوياتها الفنية المختلفة.

الكلمات المفتاحية: استراتيجيات، تعالق، تاريخ، سيرة، حوارية.

Abstract:

The importance of this study lies in the fact that it highlights the issue of the relationship of the novel as a story often imagined in history, and the reality on the one hand and its relationship to the art of biography on the other hand in light of the literary genre dialogue at the level of the text of the novel "Kingdom of Zaywan" by friend Haj Ahmed Al-Zawani, and it turned out He mobilized in his text various technical components to reach through which he penetrated the boundaries between races, and his narrative speech opened to other aesthetic components, whose artistic

* أم الخير كديد.

characteristics exceeded the boundaries of the type, so he conjured up the historical dimension and best related to biographical techniques, and managed to bet them to the present in a degree of harmony And harmony, and forming them according to a new vision, to a degree that is difficult to separate them using a number of recruitment and evocation techniques, to achieve the attachment in the narrative letter he has between history and biography as an inspired material, so not every gender maintains its special standard, so it is a biography and not a historical novel As the mixing and interaction between their separating determinants occurred, this contributed to the development of the narrative discourse at **Zawani**, and thus his novel became a reference blog, enabling the following generations to eavesdrop with them at their different technical levels.

Keywords: strategies, attachment, history, biography, Hawariya.

1- مقدمة

يبنى الخطاب الروائي المعاصر غالبا على عدم نقاء النوع، متحولا من واحديه الصوت نحو الخطاب الصوغي، بحثا عن آفاق كتابية سردية متجددة، من خلال التفاعل مع خطابات أخرى تتمازج لتصنع نصا هجينا تتعدد صيغه الأنواعية وأصواته، ليغدو نصا مفتوحا، تتعدد أبنيته ودلالاته وقراءاته. تتمثل أهمية هذه الدراسة في البحث عن أدوات التفاعل الحواري والتعلق السردى بين عدد من الأنساق المعرفية والخطابات الأدبية، التي تهدم البنية النقية للخطاب الروائي لتحقيق انفتاح الخطاب بناء وتشكيلا، يكون محصلة ذلك في النهاية ميلاد خطاب سردي حوارى تتعدد صيغه الأنواعية.

2- الأهداف:

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن آليات التضاف والتقاطع والتفاعل بين التاريخ باعتباره حقائق واقعية يقينية، والسيرة باعتبارها حقائق واقعية تاريخية أيضا، والرواية بوصفها تخيلا جماليا وإيجاء سرديا، بحثا عن الهوية السردية الجديدة التي بدأ يكرسها الروائي الصديق حاج احمد، حيث أعاد كتابة حقبة من تاريخ الجزائر في صحرائها الشاسعة، وصاغها فنيا وفق قواعد الفن الروائي المنفتح وذلك عن طريق رصد جميع الصيغ الأنواعية التي حققت حوارية الرواية وتحولها الأجناسي.

أما عن إشكالية هذه الدراسة فتأتي هذه الورقة البحثية للإجابة عن السؤال الجوهرى التالي:

ماهي تحليلات التعلق بين السيري والتاريخي في هذه الرواية؟ وما هي الاستراتيجيات والمعايير الفاصلة بين الجنسين في النص السردى الروائى؟ وأي الفنين كان أكثر تجاوزا للحدود الأجناسية من حيث آليات التشكيل؟ تدرج تحتها الأسئلة الجزئية التالية:

هل احتفظ كل جنس بمعايره داخل النص في تظاهراته المتعدد؟ هل هذه الرواية سيرة ذاتية أم رواية تاريخية؟ هل ساهم ذلك في تبدل الجنس الروائى وتغيره وتشظيه سواء على مستوى التشكيل الفنى أو على

مستوى القراءة؟ ولقد كان اعتمادنا على المنهج البنيوي أساسا لدراسة التعالق بين الفنون، بالإضافة إلى المنهج التاريخي لدراسة تطور فن الرواية.

نتائج الدراسة المتوقعة:

يجب أن تصل هذه الدراسة إلى تأكيد النتائج التالية: تفاعل هذه الرواية في خطابها السرد كقصّة متخيلة بالتاريخ، من جهة وبفن السيرة من جهة أخرى في ظل حوارية الأجناس الأدبية، وذلك من خلال رصد جميع الاستراتيجيات والآليات التي تعكس تجليات هذين الفنين على مستوى نص رواية، فعلى مستوى توظيف التاريخ فقد يقدم من خلال سرد الحدث التاريخي، القناع، والمحتمل، والتعميم وعلى مستوى السيرة من خلال استخدام ضمير المتكلم، رواية أحداث الطفولة، التعالق مع اليومي والمذكرات.

الرواية المعاصرة وآليات التجريب:

قامت رواية "مملكة الزيوان" في تشكيلها على آليات التجريب الحديثة التي صارت تبني وفقها الرواية المعاصرة، منها تداخل الأجناس وتفاعلها عن طريق التهجين من فنون متعددة والتجريب حسب صلاح فضل " يتمثل في ابتكار طرائق وأساليب جديدة في أنماط التعبير الفني المختلفة، فهو جوهر الإبداع وحقيقته عندما يتجاوز المؤلف. " (فضل، 2005، صفحة 03)

والتجريب طموح نحو الأفضل، وبحث عن الكمال، يعرفه محمد عدنان بقوله: "التجريب وعي مطلق شامل مجرد من جميع الأوصاف لا يحمل بعدا زمنيا بل هو متعال على كل. " (عدنان، 2006، صفحة 16).

ويندرج التجريب ضمن الخلق والابتكار الذي يسهم في تطوير الأدب، يقول فيصل دراج "كان الروائي في الحالين، مأخوذا بالخلق والاكتشاف وتوليد الجديد، يهيمن على مخلوقاته المتخيلة وينصب ذاته مرجعا" (دراج، 2004، صفحة 17) وعن أهمية التجريب ودوره في تطوير النص الأدبي وإثرائه شكلا وأسلوبا ونوعا، حتى صار النص السرد غنيا يحوي العديد من الفنون والنصوص، يقول سعيد يقطين "إن الكتابة التي أعطت السرد بعدا إبداعيا ومعرفيا جديدا وهو ما أسهم في إثراء التجربة السردية وإغنائها.. على مستوى الأنواع والأشكال والأساليب.. نجد كتابات جديدة ترتبط بمختلف معارف العصر صارت تشكل رصيда للراوي والكاتب. " (يقطين، 2012، صفحة 32)

- "ابتكار عوالم متخيلة جديدة، لا تعرفها الحياة العادية، ولم تتداولها السرديات السابقة.
- توظيف تقنيات فنية محدثة لم يسبق استخدامها في هذا النوع الأدبي.. تتصل بطريقة تقديم العالم المتخيل وتحديد منظوره، مثل تقنية تيار الوعي أو تعدد الأصوات أو المونتاج السينمائي.

– اكتشاف مستويات لغوية في التعبير تتجاوز نطاق المألوف في الإبداع، ويتم ذلك عبر شبكة من التعالقات النصية التي تتراسل مع توظيف لغة التراث السردي أو الشعري أو اللهجات الدارجة" (يقطين، 2012، صفحة 05).

وقد اتسع نص الرواية ليعالج كل مجالات الحياة، فتعددت مواضيعها يقول فيصل الدراج " إن الرواية أدرجت في خطابها كل ما وقعت إليه، جاء من فضاء الفلسفة والسياسة، أم أتى من الكتب العلمية." (دراج، 2004، صفحة 17)، ثم يضيف سعيد يقطين متحدثاً عن الخطابات السردية الممكنة وتفاعلها مع الخطاب الروائي الجديد، يقول " استفادت الرواية من مختلف الأنواع القديمة الشفوية (الشعر-التراث الشعبي – الأساطير – المسرح) والكتابية ومختلف أنواع التعبير الحديثة: المقالة – التحقيق الصحفي – الاستجواب والفنية (مختلف أشكال التعبير الجديدة: الأفلام – المسلسلات) على مستوى البناء." (دراج، 2004، صفحة 38).

3- السيرة الذاتية أنماطها، ضوابطها الفنية ومعايير كتابتها:

قام الأدب المعاصر على مفهوم التجريب، خاصة الخطاب السردى الذي صار يقوم على مفهوم التداخل والتفاعل بين أجناس سردية وغير سردية عديدة، فكثيراً ما يقع التداخل بين الرواية والسيرة خاصة، التي يعرفها يحيى إبراهيم الدائم بأنها "قصة حياة شخص يكتبها شخص غيره، والسيرة الذاتية وهي قصة حياة شخص يكتبها شخص بنفسه" (يحيى، دون سنة نشر، صفحة 31)، ويرى عبد النور جبور أن التاريخ يمثل جزءاً كبيراً منها حد التداخل وعدها " نوعاً من الأدب يجمع بين التحري التاريخي والإتباع القصصي، ويراد به درس حياة فرد من الأفراد ورسم صورة دقيقة " (عبد النور، 1984، صفحة 143).

ولها أنواع وأنماط عديدة أشهرها السيرة الغيرية والسيرة الذاتية:

أ. السيرة الغيرية:

يعرفها عبد اللطيف الحديدي بقوله: هي " بحث يعرض فيه الكاتب حياة أحد المشاهير فيسرد في صفحاته حياة صاحب السيرة والترجمة" (الحديدي، 1996، صفحة 67)، أي هي البحث والكتابة عن حياة شخصية مميزة وعن حقيقتها وعن عبقريتها وأسرارها ومواهبها وجميع ظروف حياتها، ملتزماً بالموضوعية والإمام بالحقائق وهي أسبق وجوداً من السيرة الذاتية.

ب. السيرة الذاتية:

تعني حرفياً ترجمة حياة إنسان كما يراها " (شرف، 1992، صفحة 27)، أما فليب جون فيرى أنها: " حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته

الفردية، أو على تاريخ شخصيته بصفة خاصة" (لوجون، 1994، صفحة 10)، فتقوم السيرة الذاتية بترجمة حياة شخص ما.

وفي السيرة الذاتية يتفاعل التاريخ بحقائقه مع الفن بجماله، هي عند عصام العسل " تاريخ حياة إنسان كتبها بنفسه... تستبطن أفكاره ودوافعه ومشاعره الذاتية، وللسيرة الذاتية أهميتان متممتان لبعضهما بعضا.. الأولى أدبية.. والثانية تاريخية.. وغالبا ما يقدم كاتب السيرة الذاتية روح العصر الحقيقة من خلال سرد حياته " (عصام، 2010، صفحة 50)، وللسيرة الذاتية خصائص يحددها يحي إبراهيم عبد الدايم كالآتي:

أساليب التعبير، الكشف عن أثر الوراثة، تصوير مرحلة الطفولة، الصدق والتجرد والصراحة، تصوير الصراع، تصوير فترات زمنية متفاوتة، دلالة الأسلوب على شخصية كاتبة. " (يحي، دون سنة نشر، صفحة 133) معايير كتابة السيرة الذاتية المعاصرة:

4- معايير كتابة السيرة الذاتية المعاصرة:

أ- الجرأة الصراحة والاعتراف:

يقوم فن السيرة على سرد جملة من الحقائق التي عاشها الكاتب لكن ليس مشروطا أن ينقلها حرفيا كما وقعت، يرى عصام العسل إن الكشف عن الذات الإنسانية عمل مخوف بالمخازير، يتطلب الكثير من الجرأة التي قد تتلاشى عند الاقتراب من المناطق المحظورة لاسيما في سير العرب، إيماننا منهم أن السيرة تتعارض مع التخيل الذي يرتبط بالعمل الإبداعي في حين أن السيرة الذاتية هي تسجيل لحقائق، عاشها الكاتب (عصام، 2010، صفحة 30).

ب- الاستذكار والتذكر:

تعتمد السيرة الذاتية على آلية التذكر والاستذكار لوقائع معينة تحتوي على عواطف متناقضة، حيث يعود السرد إلى الوراء ليكشف عددا من الجوانب التي تسهم في إضاءة النص وتحقيق غايات فنية، فلاستذكار 'يؤلف نوعا من الذاكرة القصصية التي تربط الحاضر بالماضي وتفسره وتعلله، وتضئ جوانبه المظلمة من أحداثه ومسارات هذه الأحداث" (عصام، 2010، صفحة 51).

ج- التفاعل والتداخل مع الأجناس الأدبية الأخرى:

صارت هي الأخرى تدخل كمكون نصي في بنية نصوص سردية وشعرية أخرى، كما تستعين في بنيتها بخصائص أجناس وفنون أدبية وغير أدبية، يقول في ذلك إحسان عباس: قد "انتقلت علاقة السيرة الذاتية بالأجناس المجاورة من التبعية المطلقة إلى التداخل الأجناسي" (توفيقي، 2012، صفحة 69)، وإن عده البعض فنا يتأبى التجنيس نحو ما ذهب إليه عبد الله توفيقي الذي يرى السيرة " فنا يرفض التجنيس ويستفيد من الأجناس الأدبية الأخرى " (إحسان، 1956، صفحة 139) يؤيده في ذلك جورج ماي الذي يؤكد استفادة السيرة من أجناس أدبية أخرى متقاربة معها، يقول "من بين كل الأجناس أو الأجناس الصغرى،

المتفرقة عن المذكرات والصحافة والملحقة بهما، وهي أجناس لم تفتأ السيرة الذاتية تستمد منها بعض النماذج." (ماي، دون سنة نشر، صفحة 148)

بذلك دخلت السيرة الذاتية دائرة التفاعل والتداخل مع الفنون الأدبية الأخرى تحت مظلة مصطلح التداخل الأجناسي، والذي يصفه الحسن الباردي بالأرقى فنيا حين يقول "الشكل الروائي الأرقى في كتابة السيرة الذاتية حيث تتسع مساحة الإبداع ويسمح للمخيلة بأن تلعب لعبتها الفنية" (الباردي، 2005، صفحة 174)

يكسر ذلك التداخل رتبة الفن، ويخيب أفق توقع المتلقي، يرى شعيب خليفى بأنه فن يتميز "بقدرته على التكيف ونقل السرد من الرتبة إلى التجدد والمفاجأة بفضل الأشكال المحتضنة." (خليفى، 2006، صفحة 56)

أنماط توظيف السرد التاريخي: درج الكتاب على تقديم المادة التاريخية وفق طرائق وأساليب عديدة تختلف باختلاف غايات الكاتب وأهدافه، ومن أهم تلك الأنماط:

— **السرد الواقعي الأمين لحقائق التاريخ:** تعتبر الحقائق التاريخية والوقائع الحقيقية هي المنطلق الأساس في أي كتابة أدبية، يقول نضال الشمالي ؟: "السرد مجموعة من الأخبار التاريخية المتتابعة في مطلع العمل الروائي بقلم المؤرخ، هي بمثابة تمهيد لجريبات تاريخية ستشتغل عليها الرواية" (نضال، 2006، صفحة 212). فينقل الخبر كما هو بما فيه من شخصيات وأسماء وأزمنة وأمكنة، يكون ذلك على حساب الأسلوب الفني

— **السرد المتداخل بين الحقيقة والتمثيل:** يتجاوز السارد في كتابته السردية المنطلق الواقعي إلى التخييل، من شأن ذلك أن يفتح النص على القراءات، ويوسع قنوات التأويل، يقول نضال الشمالي: "مزج السرد بالتاريخي، وهي طريقة متطورة لإضفاء معالم خطابين متضامين في صورة واحدة، وهذا ما يساعد على تقديم التفسير والتخييل وربما التأويل" (نضال، 2006، صفحة 215)، يشمل ذلك التخييل شخصيات العمل السردى بأسمائها، زمان السرد ومكانه مستهدفاً شد انتباه القارئ والتأثير فيه.

— **التخييل الروائي والصدق التاريخي:** في عالم الرواية يتسع مجال الخيال ليشمل جميع عناصرها التكوينية من مكان وزمان وشخصيات، يقول فيصل الدراج "إن الفضاء الروائي مزيج من المعرفة والبصيرة، أو لقاء محسوب بين الواقعي والتمثيل" (دراج، 2004، صفحة 18)، وعن الشخصيات يقول "ينتج تكامل المعنى في النص الروائي قولاً يربط بين وقائع حقيقية وشخصيات متخيلة.." (دراج، 2004، صفحة 87)

إن علاقة الرواية بالتاريخ عميقة إلا أن الرواية تعتمد التخيل، والتاريخ يعتمد على الواقعية، فالتاريخ " هو علم قائم بذاته له قواعده وأدواته، يتجلى برؤية صادقة أمينة للأحداث التي يسردها. " (سلام، 2010، صفحة 181)

فيقع بينهما التفاعل باستمرار في النصوص الإبداعية، يقول فيصل دراج: "يتوزع علم التاريخ والرواية على موضوعين مختلفين، يستنطق الأول الماضي ويسائل الثاني الحاضر، وينتهيان معا إلى عبرة وحكاية." (دراج، 2004، صفحة 9) ويتجلى الفرق بين التاريخ والرواية في مواضع كثيرة منها أن الرواية في "توظيف الشخصيات تنقلنا إلى زمن المغامرة، فتعرفنا بمناطق النفوذ وأسماء الحكام في ذلك الوقت، وهو الأمر نفسه الذي يفعله التاريخ لكن مع مراعاة المسافة التاريخية " (أقلمون، 2010، صفحة 244)

توظيف التاريخ بين الرواية التاريخية والتخيل التاريخي: إن الرواية التاريخية عند الغربيين هي تلك الرواية التي تستثمر حوادث التاريخ لفهم الواقع والحاضر، يعرفها جورج لوكاتش بأنها الرواية التي " تثير الحاضر، ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم السابق بالذات " (لوكاتش، 1986، صفحة 89)، يعتبر **جوناثان فيلد** الرواية تاريخية "عندما نقدم تواريخ وشخصيات وأحداث يمكن التعرف إليهم". (نضال، 2006، صفحة 113)

وعند العرب يعرفها **عبد القادر القط** بأنها: " ذلك الجنس الأدبي الذي يستلهم من التاريخ مادة له، تصاغ في شكل فني يكشف رؤية الفنان. " (نضال، 2006، صفحة 117) أي أنها تعتبر قاعدة لبناء حكاية و" النص الأدبي مزيج من الواقع وأنواع التخيل ولذلك فهو يولد تفاعلا بين المعطى والتخيل. " (الظل، 2014، صفحة 48)، وبالتفاعل تكتمل جمالية النص. أما **سعيد يقطين** فيتخذ الحقيقة والخيال معيارا للتمييز بين ما هو سرد تاريخي وما هو رواية تاريخية فيقول " كل التعريفات والتحديدات التي تقدمها لنا المعاجم والدراسات المختصة حول الرواية التاريخية.. تكاد تتفق على كون الرواية التاريخية عملا سرديا يرمي إلى إعادة بناء حقبة من الماضي بطريقة تخيلية، حيث تتداخل شخصيات تاريخية مع شخصيات متخيلة، إننا في الرواية التاريخية نجد حضورا للمادة التاريخية لكنها مقدمة بطريقة إبداعية وتخيلية. " (يقطين، 2012، صفحة 159)

يكون المنطلق دوما من التاريخ كمرجع سواء كانت الرواية تاريخية أم تخيلية يقول فيصل الدراج: "تذهب إلى الوثيقة التاريخية، وتعيد كتابتها بشكل آخر، لكنها وهي تحول الوثيقة إلى رواية، تمحو الحدود بين الرواية والرواية التاريخية، مؤكدة وجود الرواية... فلا فرق بين الرواية والرواية التاريخية إلا.. في التصنيف والأحكام الشكلانية فكلاهما يقرأ التاريخ في أحوال البشر، ويتأمل التاريخ في مصائر إنسان. " (دراج، 2004، صفحة 262)، " ولكنها لا تنقل التاريخ بحرفيته بقدر ما هو تصور رؤية الفنان له. " (عبد الحميد،

1980، صفحة 33)، وعن ماهية التخيل وكيفية اشتغاله في النص الروائي، يبين إبراهيم عبد الله اختلاف طريقة تناول للمادة التاريخية: "فالتاريخ هو المادة المنجزة التي مر عليها زمن. . ، أما المتخيل فهو المادة السردية المنجزة التي تنشأ من خلال العلاقة الخلاقة مع حدث ما، وتعطيه امتدادات كبيرة في الزمان والمكان." (إبراهيم، 2011، صفحة 11)

وعن طريقة اشتغال الروائي فالتخيل وسيلته لتقديم المادة التاريخية وغير التاريخية، حين يقوم بعملية هدم لواقعية الأحداث ثم يضيف عليها من الخيال ما يحولها إلى صور جديدة، يقول فخري صالح أنه: "عملية تركيب جديدة للواقع والأحداث والطرف التاريخي، والشخصيات المذكورة في تلك المرحلة، مضيفا إليها شخصيات متخيلة تساعده في تأييد المكان والأزمة الراحلة لشخصياته." (صالح، 2010، صفحة 70)

على أن مصطلح الرواية التاريخية قد بدأ بالتراجع مفسحا المجال لمصطلح التخيل التاريخي، يقول عبد الله إبراهيم: "آن الآوان لكي يحل مصطلح التخيل التاريخي محل مصطلح الرواية التاريخية... ثم إنه يفكك ثنائية الرواية والتاريخ، ويعيد دمجها في هوية سردية جديدة". (إبراهيم، 2011، صفحة 5)

معيار التفرقة يكمن في أن الرواية تعتمد التخيل والتاريخ يعتمد الواقعية "إن التاريخ والرواية.. مختلفان برغم اشتراكهما في السياق الإيديولوجي والثقافي والاجتماعي وفي التقنيات الفنية". (ليندا، دون سنة نشر، صفحة 46)

وبالتالي التخيل التاريخي حسب إبراهيم عبد الله "هو نتاج العلاقة المتفاعلة بين السرد المعزز بالخيال والتاريخ المدعم بالوقائع، لكنه تركيب ثالث مختلف عنهما." (إبراهيم، 2011، صفحة 5)، فالمادة التاريخية بعد دخولها عالم السرد تخضع لتقنيات وقواعد الخطاب السردية، وتنأى عن طبيعتها الأولى، يقول سعيد يقطين: "إن الرواية التاريخية... تنهض على أساس مادة تاريخية، لكنها تقدم وفق قواعد الخطاب الروائي القائم على البعد التخيلي مهما كان واقعيا." (يقطين، 2012، صفحة 159)

إن توظيف التاريخ في الرواية ليس موقفا تقييما يبرز من خلاله الكاتب موقفه بل: إن "العودة إلى التاريخ في الرواية لا تكون من أجل تثمينه. . . التاريخ في النص لحظة تأمل في زمن قد يتكرر بانكساراته وأوهامه وضعفه، ولكنه في الوقت نفسه خطوة إلى الوراء تعيد النظر في الذات الآخر" (بديعة، 2009، صفحة 21)

فكثيرا ما تكون أحداث التاريخ مناسبة ومرجعا ينطلق منه الكاتب نحو عوالم سردية كثيرة "لا تستخرج تفاصيل هذه الحياة اليومية من النصوص والآثار، وإنما تتصور عالما روائيا يعج بالحياة." (القاضي، 2008، صفحة 55) وعن طريق العالم السردية يفك غموض كل أحداث التاريخ الهام منها والهامشي، يرى

محمد القاضي أن الرواية " تريد أن تنسج من التاريخ الرسمي خيوط التاريخ المهمش. " (القاضي، 2008، صفحة 55)

– وبذلك يصبح التاريخ مكونا من مكونات النص، "إن استدعاء الخطاب التاريخي لإنشاء خطاب روائي راهن يجعل التاريخ نسيجاً طريفاً مكوناً في المتن الروائي". (فتحي، 2010، صفحة 18)

5- السيرة والتاريخ:

ثمّة شيء من التقارب بين السيرة والتاريخ لاسيما حين يتناول هذا الأخير تاريخ الشخصيات والنظر إليها كنموذج يقتدى به، يقول جورج لوكاتش: "تظهر الروايات التاريخية العصرية المهمة نزوعاً واضحاً إلى السيرة أو ترجمة الحياة الشخصية، والصلة المباشرة بين الجانبين هي الطراز المعاصر من الأدب المحض التاريخي – السيري. ولكن هذه الصلة تكاد ألا تكون في الرواية التاريخية الحالية مرده إلى حد ما أن أهم أنصاره يرغبون في أن يجابهوا الحاضر بشخصيات نموذجية." (لوكاتش، 1986، صفحة 442)

وعن علاقة السيرة بالتاريخ: يرى محمد صلاح الشنطي " وقد كان الحس التاريخي هو الأصل في كتابة السيرة، حيث كانت السيرة جزءاً من التاريخ، وكانت حياة الفرد تمثل جانباً هاماً من تصور الناس للتاريخ، وإيمانهم بأن الفرد هو الذي يصنع التاريخ". (الشنطي، صفحة 216)

وكثيراً ما تجري العودة إلى التاريخ لتتبع أصول أفكار وحوادث الحاضر "... فمن الحتمي أن تظهر السيرة بوصفها الشكل المحدد للرواية التاريخية العصرية.. وإذا كانت الرواية التاريخية معنية بما قبل تاريخ الأفكار جاز للكتاب عندئذ... أن يروا الأصول التاريخية الحقيقية لهذه الأفكار." (لوكاتش، 1986، صفحة 442)

وعن علاقة فن السيرة بفن الرواية: يقول جورج ماي في هذا الصدد: "إن السيرة الذاتية حاضرة دائماً في الرواية ولا يتغير إلا بمقدار النسبة السيرة ذاتية فحسب." (طريط، 2004، صفحة 85).

6- تفاعل وتعالق السيري والتاريخي في رواية "مملكة الزيوان":

تتكئ البنية السردية لهذا الخطاب السري الروائي على صيغتين نوعيتين بارزتين في تفاعل وتعالق بين لا ينأى عن النسق العام للرواية وهما السيري والتاريخي.

تجليات التاريخي في رواية "مملكة الزيوان" وتقنيات الاستدعاء والتوظيف:

يمكن إدراك ثلاثة مستويات من حضور التاريخي في هذه المدونة الروائية، والمتمثلة في تقنيات تسريد الحدث التاريخي، تقنية «المحتمل»، وتقنية «القناع».

السرد الواقعي للحدث التاريخي:

يتجلى من خلال موقف الزيواني اتجاه أحداث لحظته التاريخية التي كان نشطا فيها، فيرصد المجتمع الصحراوي والطبقة الشعبية بطموحاتها وآلامها وآمالها، مثيرا قضايا ذلك الواقع الشعبي من خلال التذكر والترجيع والترهين السردى، حيث يمتزج الصدق الفني بالصدق التاريخي، قام الزيواني في روايته بانتقاء بعض الأحداث والوقائع من تاريخ القصر الذي يروي حكايته، ثم أعاد تشكيلها وفق رؤيته الخاصة، على نحو ما يقول سمر روجي الفصيل بأنها: " أحداث اختيرت من التاريخ ولم تنقل الرواية بمجملها، بل قام الروائي بتفكيكها وإعادة تركيبها بما يلائم الغرض الذي يرمي إليه. أو حسب دواعي التخيل. " (الفصيل، 2003، صفحة 68)، وفيما يلي بعض النماذج عن الأحداث والطقوس التاريخية المنتقاة في خطاب الرواية.

تشير الرواية إلى طرائق تقسيم الأراضي الزراعية الفلاحية تاريخيا بين المالك وخادمه: " من حقل أيها الزيواني، أن تحلم فوق الأرض في عالمك الإنسي، بأخبار مملكتكم الزيوانية، ولا سيما تلك القضية الجوهرية، التي قلبت القصر رأسا على عقب، وأضحى فيها الخماس ملاكا... " (الصدقي، 2013، صفحة 23) فجوهر الرواية هو قضية تقسيم الأراضي الزراعية الفلاحية بين المالك وخادم الأرض، فهو حدث سياسي واقتصادي مهم لأهل المنطقة حيث يصبح خادم سيده مالكا للأرض مناصفة أو كلية مثله مثل سيده وهو حدث واقعي ذكره في فصل سماه " بداية مستلفة من النهاية ": فهو هنا يتحدث عن الشخصيات الجوهرية التي عاش معها والتي كانت ضمن سيرته الذاتية الحقيقية منذ الطفولة إلى كهولته، ولكل شخصية منها بعد تاريخي يذكره ومساحة غابرة من الزمن مضت وبقي في الذهن خيالها وذكرها، يقول " مع حلول نهاية الثمانينيات من القرن الماضي، أكون أنا والداعلي، قد اغتسلنا من طيننا حقا... حال أمي لا يبعد كثيرا، عن حال أختي مريمو المسكينة... أما امبارك والد الداعلي وأمه قاموا، فلم أعد أراها في القصر... وأصبح امبارك ملاكا لأرض استصلاحية، بعدما كان خماسا عندنا... أميزار عشقي الأول والأبدي، قهرت بشخصيتي وثقافتي جبوت كبريائها.. آه يا عمي نفوسة، لو كنت عشت إلى اليوم (1989)، كيف تقولين فيما كنت تعتقدين وتحتسين... والذي كان تواجهه بالقصر ناقصا، لاشتغاله بالتجارة مع القوافل بين توات وبلاد السودان... ثلاثون سنة يا سادتي، مرت على قصرنا الوسطاني بتوات... بمن فيهم أبناء الشرفاء، والمرابطين، والشعانية، والزوى، والذين يدعونهم عندنا لعرب، والبرامكة، أو من كان لونه يغلب عليه لون الزوج كالداعلي، أو كمن كان مهجنا، كأن يكون أبوه حرا وأمه أمة كسيد الدولة ولد الهوصاوي، أو كمن كان هجينا كأن يكون أبوه تواتيا وأمه طارقه كميني ولد بكة الطارقة... هذا عهدنا وميثاقنا، إليكم أيها الجيل الجديد... الزيواني 2012/12/30 " (الصدقي، 2013، صفحة 31)

يتحدث الزيواني عن فترة تاريخية من حياته سابقة، يذكر ثلة من الأصدقاء وكثيرا من الشخصيات الحقيقية والواقعية، فصديقه الداعلي درس معه بعد أن كان خماسا لديهم، وأمه التي أصبحت جدة تستعمل المنتجات الحضارية كالصابون المعطر والعطر الباريسي، وأخته مريمو التي تعيش الرفاهية وقد منعت من التعليم، ووصفت بالطوبه في المجتمع الزيواني إذ لا ترث، ، أيضا شخصية أميزار التواتية التونسية ابنة سيد

الغيواني التي عشقها، وامبارك وقاموا والد الداعلي وقد كانا خادمين لعائلته ثم أصبحا بفعل الثورة الزراعية خلال منتصف السبعينيات مالكين لأرض استصلاحية، أيضا العمة نفوسة المحبة للورث والتي تكره الإناث لأنهن لا يرثن، وهي تؤمن بالشعوذة وغيرها من المعتقدات، وقد ذكر تاريخ 1989، وهو زمن واقعي يفيد أن الرواية تاريخية واقعية حديثة، كذلك تحدث عن شخصية والده الذي يقل حضوره لأنه منشغل بالتجارة، والتنقل، أيضا استعاد التاريخ في ذكره لتاريخ واقعي حينما يقول " ثلاثون سنة يا سادتي " فقد تدرج في ذكر التواريخ منذ طفولته، ذلك دلالة على استحضر الزيواني لذاكرته وما تحمله من أحداث حقيقية عاشها أيام الصبا خاصة.

ثمة حدث آخر مهم وهو وصية الزيواني المكتوبة من قبل السارد الراوي الكاتب للجيل القادم، وقد ختمها بتاريخ حقيقي وواقعي حديث 2012/12/30.

ذكر أيضا عام الجراد الذي أصبح معلما تاريخيا لأهل مملكة الزيوان: " ولعل أبي وأهل ناحيتنا معذورون...، بعد النكبة التي حلت بهم إبان ميلادي حيث أتى الجراد على الأخضر واليابس، وهلك الحرث والنسل... ما هذا بسكان قصرنا إلى أن يتخذوا من هذا العام، تاريخا لأحداثهم". (الصادق، 2013، صفحة 44)

كذلك سرد حدثا تاريخيا ترويه كتب تاريخ الجزائر إبان المستعمر وهو تفجير القبلة الذرية في نفس عام الجراد الذي ولد فيه، يقول: " وما ذكر والدي من أمر تلك القبلة الذرية اللعينة... وزع عليهم العساكر... بأن لا يخرجوا عند الفجر من اليوم الموالي، ولما كان الحال من ذلك الفجر، اهتزت الأرض، وزلزلت زلزالها.. " (الصادق، 2013، صفحة 44)

ومن الأحداث التاريخية المعروفة التي أشار إليها صدور قانون الثورة الزراعية القاضي بتوزيع الأراضي الفلاحية مناصفة بين الملاك وخماسه يقول: "شكل خريف أحد السنوات بقصرنا وناحيتنا حدثا بارزا. والمتمثل في تطبيق قانون الثورة الزراعية.. ولربما هذا الحدث كان الأكبر الأبرز لكونه قد مس أهالي قصورنا، في أعز ما يملكون.. صدر مرسومه في 1972/11/08 والقاضي بتحديد ملكية الأراضي تحت شعار (الأرض لمن يخدمها)". (الصادق، 2013، صفحة 165).

تقنية القناع: من شأنها تقوية رمزية النص، وتكثيف دلالاته، وذلك من خلال:

مرايا مكانية: تتحول بعض الفضاءات السردية في الخطاب السردى إلى قناع يخفي من خلفه دلالات وأغراض يطمح الكاتب إلى توصيلها، أشارت هذه الرواية في خطها السردى إلى مكان تاريخي رمزي يعرف بحفرة الرابطة في قصر الزيوان، فبين حرفية التاريخ والبعد الفني الإبداعي، ومن خلال رمزية المكان يث الكاتب رسالته، يقول " هناك خارج القصر الزيواني توجد حفرة الرابطة. . أن يتفادوا المرور بالمكان في تلك

الأوقات المحصورة " (الصدى، 2013، صفحة 15)، وحفرة الرابطة عبارة عن مكان تاريخي بمنطقة قصر الزيون بتوات تميمون أدرار هو مكان مهجور كالكهف حسب ما يصنفه الزيواني (تقصده المرأة التي توفي زوجها بعد إتمام العدة الشرعية، للدخول إلى الحفرة يجب اتباع توصيات أيقش للوصول إلى أخبار الزيون. **مرايا شخصيات رمزية:** ثمة عدة شخصيات وظفها الكاتب مكنته من المناورة، أسند إليها أدواراً مختلفة، حملها ثيمات إنسانية غنية بالدلالات الرمزية كالزهد والتعفف والولاء والتوكل، قامت عليها عدة تحولات اجتماعية وسياسية وتاريخية، أفصحت عنها الرواية في خطها السردى، فمن متعلقات التاريخ التي أشار إليها في نصه الروائي ذكره لبعض الشخصيات التاريخية التي تتقلد عض الوظائف في المجتمعات القديمة كمجتمع قصر الزيون الذي يصوره الزيواني، تحدث عن الدرويش الزيواني الذي هو أصلاً الزيواني صاحب الرواية وصاحب هذه السيرة الذاتية التاريخية الواقعية والمتخيلة في آن واحد، يقول "إن رغبة ذلك الدرويش الزيواني الحالم باكتشاف تلك التحولات الاجتماعي العميقة التي مرت بها مملكتهم، خلال ثلاثين سنة. (الصدى، 2013، الصفحات 15-16)

ذكر أيضا شخصية تاريخية لدى سكان القصر الطالب أيقش: وهو شخص مشعوذ ويلبس لباس الوفار كمقرئ للقرآن، وقد ألح على الزيواني بزيارة المكان وقت القيلولة الصيفية الحارة جدا، إلى جانب شخصية أخرى تمثلت في عراف القصر وهو رجل خبير بالقصر وقاضي الخبرة لجماعة القصر، كما نعتت هذه الشخصية التاريخية بـ "ذلك الدرويش الزيواني" (الصدى، 2013، صفحة 15)، فهي كلمة تطلق بالعامية على الشخص الفقير لله الذي تعطف عليه الناس وتهتم به وتشفق لحاله، وهنا قد مثل دور الشخصية الزاهدة، فقد انتقل "الإنسان الذي يقتات بالمقدس ويقتات المقدس به إلى وضع جديد يقاسم فيه المقدس قداسته" (دراج، 2004، صفحة 12)

ساق السرد ثلاث شخصيات تاريخية هي الدرويش الزيواني والطالب أيقش والعراف كلها توحى بالبعد التاريخي وبأدوار كان تؤدي في القصر في تلك المجتمعات القديمة التي تراوحت فيها سلوكيات الفرد بين الدين والشعوذة، ومن الطقوس التاريخية الشعبية التي يرويها السارد تلك المسالك التي يجب المرور عبرها للوصول إلى حفرة الرابطة، كما يشير إلى بعض المراتب (في قصر الزيون كالدرويش والمريد والسالك).

تقنية التعميم بتحويل المواقف الفردية إلى تاريخ: يصبح بذلك الفردي رمزا لما هو جمعي، حين يسرد بعض الوقائع التي عاشها كفرد، لكنها متكررة كظواهر عامة نموذجية في ذلك المجتمع ويظل دائما في دائرة الأدب الملتزم فنيا وإيديولوجيا، من ذلك ذكره لوصية الجد الأكبر والتي كانت خاصة بهذه العائلة لكنها صارت فيما بعد سلوكا عاما في الميراث، ذكره كحدث تاريخي عن التركة التي تخص الذكور دون الإناث وذيلها بذكر التاريخ الفعلي للكتابة، قدمها كنماذج تاريخية من خلال تنشأ صورة عن مجتمع بكامله يقول: "ومما وجد في

نص تحبیس التركة جدنا الأول المرباطي بقصرنا الوسطاني، بعد سطر البسملة، والحمدلة، والتصلية ما نصه: "هذا عقد حبس مؤبد، ووقف مخلد، عقده السيد البركة كبير المرباطين بالقصر الوسطاني، على أولاده الذكور دون الإناث ومن سيوجد من أحفاده الذكور، إن قدر الله تعالى... فمن سعى في تبديله أو تغييره، الله حسيبه... ووكل عليه سيدنا جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، وحملة العرش، والملائكة الكرام الكاتبين، وجميع عباد الله الصالحين. وقد شهد عليه بذلك... كتب بتاريخ أواسط شعبان المنير، من عام 1283هـ وبه عبيد ربه تعالى... الشيخ البكراوي التمنيطي، لطف الله به آمين" (الصدیق، 2013، الصفحات 36 - 37).

السرد التاريخي المتخيل: فإلى جانب الوقائع التاريخية التي رواها وفصل القول في دقائقها محافظا على واقعيته، كان من حين إلى آخر يضيف على السرد شيئا من التخيل ليكتف جمالته النص، ويزيد من تشويقه، من ذلك اللقاء مع الجنية مروشة وملك الجان شمهرون، يقول: "وتابع حديث نفسه، وقال: إن الأمر في كل الحالات ليس سهلا.. وما إن بلغ نهاية ما وقر في قلبه،... حتى سمع صوتا نسويا لطيفا خفيفا يناديه من الداخل، أن أدخل، فولج ولم يسم... فإذا هو أمام امرأة باهرة الجمال... لم يرى في عالمه الإنسي الزيواني امرأة فاتنة مثلها"، اعتمد على السرد التاريخي المتخيل ليستكمل ما لم يوفره له التاريخ لاسيما أثناء دخوله حفرة الرابطة فيسترسل في تصوير مشهد لقائه بهذه الجنية، يقول: "وسألته عن حال أهل الزيوان، وعن عالمه الإنسي الزيواني وقالت أنها هي مروشة الساحرة الجميلة، كادت تأملاته لروعة سحرها وحسن جمالها... تنسيه... الرسومات والرموز أمامه" (الصدیق، 2013، الصفحات 21 - 24).

تقنية المحتمل: وذلك بالاستعانة بالتجريد والترميز لمادته الحكائية، فيستحضر الحدث التاريخي والشخصية التاريخية، ويسند إليها ما يحتمل وقوعه من أحداث وفق حمولة سيميوطيقية يسندها إلى شخصيات بعينها بأدوار متوقعة، ومن الأحداث التاريخية المحتملة التي أضفى عليها بعض التخيل، لاسيما وأنه لم يكن أثناء وقوعها قد بلغ من العمر ما يؤهله إلى الإدراك والتمييز مثل حدث ولادته: "تقلصت عضلات رحم أمي، وقذفت بي إلى هذا الوجود المبكي يا سادتي، أول شيء حاولت القيام به.. استهللت صارخا" (الصدیق، 2013، صفحة 35).

يبدو الكاتب وقد ترك العنان لخياله لحظة ولادته بكل تفاصيلها وكأنه شخص واعٍ كبير يسرد لنا الحدث، كما أنه ذكر أن ولادته ذكر قد أجهجت عائلته وبثت الحزن في نفوس أعمامه كي يحبس ميراث أبيه ويرث مثله مثل أعمامه، ووصف أخته بالطوبه ولاحق لها بالإرث فلم يسروا عند قدومها لهذه الدنيا بمثل سرورهم به.

يسترسل في سرده لمجريات ولادته: " إلى هذه اللحظة لازال الحبل السري يربطني بأمي، في ذلك الصباح الربيعي، من عام يدعى عند أهل قصورنا بعام الجراد، حين أحسست بألم الموس في يد عيشة مباركة بنت بلة." (الصدقي، 2013، الصفحات 37 - 39).

يسترسل الزيواني ساردا لأحداث ما بعد ولادته، ومن المشاهد التصويرية التي أبدعتها مخيلته طقوس اليوم السابع من الميلاد يقول: " ظل حالي بين حجر أمي وخيطري، مدة سبعة أيام كاملة... فذبح الضحية المسماة خروف الدمان وأمره والذي بعد ذبحه لها، أن يعطي جلدتها الأحمر المنقط بالأبيض لزوجته قامو، فمسكت أمي برجلي لأعلى ورأسي لأسفل وأدخلتني في جوف ذلك الجلد من جهة بطنه.. لكي يطرد البأس عني." (الصدقي، 2013، الصفحات 53 - 54)

ومن الأحداث الأخرى التي أعقبت ولادته والتي رواها بخياله وكأنه كان مدركا لها حدث خروجه وهو رضيع لأحد الأضرحة: " كانت هذه الرحلة التي أخرجوني محمولا فيها لزيارة ضريح ولي قصرنا، الولي الصالح سيدي شاي الله، هي أول مرة أتعدى فيها عتبة بيتنا" (الصدقي، 2013، صفحة 67)، يضيف: " قلت فخرجت في هذه الخرجة الأولى محمولا لزيارة ولي قصرنا سيدي شاي الله، فوزعوا على الصبيان شظايا كسرة من قمح بوركية... كما قام بتزويرنا بالولي الصالح، حفيده سيدي مول النوبة، فسير مزورونا سيرا دقيقا من الكتان المكسد على ضريح جده، وربطه في ثنائي، وذلك بطلب من عمي نفوسة. مع حفنة تراب من تراب عند مقدمة قبر جده." (الصدقي، 2013، الصفحات 69 - 70)

تتمثل القيمة الإجرائية لتقنية «المحتمل» في تجاذب السرد بين الخطاب الجمالي الفني والخطاب التاريخي مما يضمن حرية الكاتب وتخففه من ثقل الالتزام بالواقعة التاريخية ليشيد عالماً بأبعاد مختلفة؛ فكرية وجمالية وتاريخية وإيديولوجية، فبتقنية المحتمل أمكن تجاوز اللحظة التاريخية وكتابتها وفق رؤية جديدة وفق حركية المجتمع في تطوره التاريخي.

يبدو بذلك الزيواني قد استفحل في استعمال خياله الإبداعي مستنطقا التاريخ ومضيفا مسحة من الخيال العجائبي، متحدثا عن العالم الآخر ما بين الجن والإنس وعلاقتها ببعض، فما نعته " بداية مستلفة من النهاية " فقد ساق فيه الأحداث الحقيقية السردية تمهيدا للرواية وما تتضمنه من أحداث، فكل ما جاء في هذا الجزء حقيقي من بدايته لنهايته، أما ما وسمه ب "الفصل الأول" من رواية " مملكة الزيوان " فقد كان سردا تاريخيا متخيلا كونه يتحدث بصفة رضيع في صورة شخص عاقل كبير وواعي، فكان هو السارد والراوي والشخصية المحورية باستعمال ضمير المتكلم حاكيا تفاصيل جد دقيقة من لحظة ولادته إلى ما بعدها.

7- تحليلات السيري وآلياته في رواية "مملكة الزيوان"

"تعد السيرة أيضا وثيقة تاريخية تتناول حياة شخص ما حين توفر لنا نافذة نتطلع من خلالها إلى التاريخ وسيرة المكان والإنسان، كما تشكل مجالا تتداخل فيه الرواية التاريخية مع السرد، يترع النص التاريخي السير ذاتي إلى أغلب خصائص الأجناس الأدبية المعروفة، حيث يقدم السارد وقائع من سيرة حياته في تفاعل بين الواقعي والتمثيل السردى، وذلك من خلال المذكرات الشخصية، فالسيرة فن غير مكتمل، إذ تظل في حالة تفاعل وحوار مع أشكال سردية فنية أخرى شبيهة بها كالمذكرات، والحوارات الشخصية.

توزعت مقاطع هذه الرواية بين جنسين كبيرين أحدهما التاريخ واقعيًا أم تخييليًا، وانصرف الشطر الباقي إلى مسيرة حياة الكاتب نفسه منذ طفولته حين يسرد أحداثًا كثيرة يتذكرها ويؤرخ لها، فيتداخل السيري مع التاريخي إلى حد كبير ويمتزجان مع التخييل الروائي لينتج نصًا هو خلاصة تفاعل هذه المكونات جميعًا، فن السيرة حاضر في متن هذا الخطاب السردى على مستوى الآليات الفنية والخصائص البنائية التي تميزه كنوع أدبي، إذ يصف المشاهد كما رآها أو تخيلها في طفولته وصباه، ومن خلال تسريد الأحداث يقدم ما عاشه أهل القصر من طقوس وتقاليد وعادات في جغرافية الصحراء ذات الطابع الخاص، فوصف أهلها وعمرانها بدقة متناهية، لاسيما من خلال ذلك التطابق بين الكاتب صاحب النص والسارد وإحدى شخصياته، مما يعني أن السارد يمثل الكاتب.

تخضر السيرة هنا من خلال عدة آليات لها منها:

استخدام ضمير المتكلم: الذي يؤكد وجود السيرة الذاتية في نص الرواية وتعالقها مع السرد التاريخي استخدام ضمير المتكلم، والذي يحيل على الذات الساردة مباشرة، وإن كنا نلمس بعض التطابق بين السارد والشخصية الرئيسة حيث يهيمن الصوت الواحد صوت المؤلف، ويعد الصديق حاج احمد الزيواني هو السارد الراوي والمؤلف في الآن ذاته، فتبرز السيرة الذاتية بعرض تلك المادة الواقعية التي توحى للمتلقى بواقعية المحكيات فتعرضها بضمير المتكلم، وهو ما يدير الخطاب حول الذات بعرض آرائها وأفكارها ومغامراتها اليومية، ومن خلف ذلك تبرز رؤية الكاتب للعالم، نلمس ضمير المتكلم بصيغة المفرد في نحو ما ذكره لحظة عقده العزم على بداية مشروعه لهذه الرواية، يقول: "سافرت روحي بخيالها وقطعت عقالها... على عرق رمل أصفر صاف، حيث الشرقي... في تلك الليلة القمر، فعقدت عقدة التسنيت لروائي... لبداية نسج الزيوان حقيقة عنده... " (الصادق، 2013، صفحة 7)، أو بصيغة الجمع نحو: "يقول: "بعد عامين أو ثلاث، نكون قد قفلنا راجعين على سور القرآن نزولا حتى نبلغ ما بدأنا به يوم بدايتنا، فتقام لنا مناسبة أخرى يطلق عليها الحفوض..." (الصادق، 2013، صفحة 124).

يذكر أيضا مقاطع من تلك المناسبات الدينية وما كان يجري فيها من طقوس شعبية عايشها في صباه كذكرى المولد النبوي، وما يجرى فيه من زيارة للولي الشريف، يكشف ذلك ياء المتكلم، يقول: " ذات ربيع، صادف نزول والدي بيننا، لحضور زيارة الولي الصالح الشريف مولاي الرقاني برقان، والتي كان يحرص كل عام في عودته من تجارته ببلاد السودان لحضورها.. وقد كنت يومها أبلغ خمس سنوات إلا قليلا... إلى جانب أسبوع المولد النبوي بتميمون... " (الصديق، 2013، صفحة 103).

رواية أخبار الذات والطفولة: يذكر كذلك حدث ختانه مع المرباط الزيواني وصديقه الداعلي وما يقام من طقوس بالمنطقة مرافقة للحدث، يقول: " ولما صادف حضور الموسم تلك الزيارة، فكر في ختاني، رفقة الداعلي ولد مبارك ولد بوجمعة... ففي عشية ذلك اليوم المهول، وبعد أن عملوا لنا حلقة التقويرية برأسينا، أخرجونا لزيارة ضريح ولي قصرنا شيد شاي الله، على إيقاع فرقة الدندون، وتقريب الجديد، تسمى قرقابو العبيد لوهم لا يختلف عن لون الداعلي ووالده. حيث حملي مبارك ولد بوجمعة على كتفه... بينما حملت قامو ابنها الداعلي... كانت تتخلل ذلك الموكب المهيّب، دندنة الدندون..

الله أمعا سيد لسياد

الله أمعا ولد سيد الشيوخ

الله أمعا ولد سيد لقبابل... " (الصديق، 2013، الصفحات 104-105)

كذلك يذكر حدثا من مسيرة حياته في صباه ويتعلق الأمر بحفظ القرآن، وما يرافق ذلك من تقاليد بالمنطقة احتفالا بهذا الحدث يقول: " بعد عامين أو ثلاث، نكون قد قفلنا راجعين على سور القرآن نزولا حتى نبلي ما بدأنا به يوم بدايتنا، فتقام لنا مناسبة يطلق عليها الحفوض... " (الصديق، 2013، صفحة 124).

كما ذكر حادثة دخوله إلى المدرسة أول مرة، يقول: " لم يكن دخول المدرسة بالقصر الوسطاني، محددًا بعمر معين.. محدد فقد يحدث وبلا غرابة، أن يتزامن دخول الطفل الذي في عمره خمس سنوات وثمانية شهور، كحالي إبان خريف هذا العام، مع دخول الطفل الذي يكبره بعامين. (الصديق، 2013، الصفحات 131 - 132).

التعلق مع أدب المذكرات:

كذلك يدل على وجود السيرة في هذا المتن الروائي ذلك التعلق مع أدب المذكرات، حين يشير إلى بعض الأحداث التاريخية التي شارك فيها أو شهداها، وأثرت في مجرى حياته، إذ تعد المذكرات من مصادر التاريخ تسهم في تقديم معلومات داعمة لرواياته، أو قد تكون مجرد قراءة أخرى لوقائعه، والذاكرة هي المصدر الأساس للاستلهم، فكان معظم فعله السرد في هذا الخطاب السردية عبارة عن تأريخ لأحداث

عائشها في محيطه نحو قوله: " آه يا عمّي نفوسة، لو كنت عشت إلى اليوم (1989)، كيف تقولين فيما كنت تعتقدين وتحتسبين" (الصادق، 2013، الصفحات 29-30).

التعلق مع أدب اليوميات: والتي تقوم أساسا على التوثيق اليومي يوثق السارد من خلالها معاشه من أحداث في يومه من أحداث، يستعين بها في سيرورة السرد، دون أن ترتبط تماما بالذات الساردة دائما، فقد تعرج أيضا على أحداث الغير فتسردها، فيتخفف بذلك من خطاب الذات، من ذلك قوله: " كان الأكبر الأبرز لكونه قد مس أهالي قصورنا، في أعز ما يملكون. . . صدر مرسومه في 1972/11/08 والقاضي بتحديد ملكية الأراضي" (الصادق، 2013، صفحة 165). كذلك حدث الوصية التي حررها الزيواني ووجهها إلى الجيل القادم، ذيلها تاريخ حقيقي وهو 2012/12/30.

8- خاتمة:

سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن طبيعة العلاقات التي أثّرت التشكيلة السردية لرواية "مملكة الزيوان" بالتركيز على الرواية بوصفها بنية تخيلية، في علاقتها بالتاريخ كمكون واقعي، والسيرة كمكون آخر يجمع بين صفتي التخيل والواقعية، فتفاعلها يتشكل كيان سردي جديد وهجين، وقد كان التعلق بين هذه الفنون والتحاور محورا أساسيا في هذه الدراسة، والذي خلصنا فيه إلى نتائج أهمها: إن توظيف التاريخ، وإحياء الذاكرة الذاتية في مقاطع من السيرة الذاتية له أهميته في عملية الإبداع الأدبي، فيقدم المادة التاريخية في حلة أدبية جديدة تفتح قضاياها على التأويل وإعادة القراءة.

يكون توظيف التاريخ لغرض تقديم رؤية الكاتب لحقائق تاريخية عاشها في زمن مضى، ولاتزال آثارها تتحكم في مجريات الحاضر، فكانت جزءا من تاريخ الكاتب وسيرة حياته، وجزءا من ذاكرة الوطن التي طبعت الهوية الذاتية والسردية للكاتب بطابع خاص.

يقوم الخطاب السرد لرواية "مملكة الزيوان" على ثلاثة أبعاد تاريخية من خلال الحقائق التاريخية التي رواها، وواقعية من خلال سرد مقاطع من شريط سيرته الذاتية في صباه، وتخييلية من خلال تلك الأحداث المتخيلة التي جررت في صباه دون وعي منه أو إدراك، تتمازج هذه الأبعاد مع وعي تام بمقومات الفن الروائي.

تتفاعل هذه البنى السردية (التاريخ / السيرة / الرواية) في شيء من التناغم والانسجام والتكامل بلا تعارض.

ويمكن رصد ثلاثة استراتيجيات ومستويات حققت حضور التاريخي في هذه المدونة الروائية، والمتثلة في تقنيات تسريد الحدث التاريخي، وتقنية المحتمل، وتقنية القناع، في تناغم بين الحقيقة التاريخية والجمالية الفنية التي يخلقها السرد الأدبي.

- تجسد حضور السيرة الذاتية من خلال استخدام ضمير المتكلم، ومن خلال سرد أحداث زمن الطفولة، إلى جانب تعالق النص مع أدب المذكرات، وأدب اليوميات.

فالقائمة الإجرائية لتقنية المحتمل تتمثل في تقاسم السرد الروائي بين البعد الجمالي الفني وبين الخطاب التاريخي، يتحرر بذلك الكاتب من وطأة الالتزام بالواقعة التاريخية فيتجاوز الواقع نحو فضاءات السؤال وعوالم الخيال، والجمال.

ابتعدت الرواية في خطها السردى المتصاعد عن التاريخ التوثيقي وغلبت تسريد التاريخ وفق تقنية التخيل أسهم ذلك في تحرير قدرة الكاتب على الكتابة السردية التي تكسر خطية الزمن وتعود بالذاكرة إلى الوراء مستلهمة التاريخ في واقعية أحداثه، خاصة عن طريق تقنية الاسترجاع فتمنح العمل السردى الكثير من المرونة، يتحرر معها النص من سلطة الكاتب، ويفسح المجال أمام تجربة التلقي.

9- المراجع

1. ابراهيم الدايم يحيى. (دون سنة نشر). الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث (الإصدار دون طبعة). لبنان: دار إحياء التراث العربي.
2. الشمالي نضال. (2006). الرواية والتاريخ (بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية) (الإصدار 1). الأردن: عالم الكتب الحديث.
3. الطاهري بديعة. (جانفي، 2009). ملامح اشتغال التراث في الرواية (جارات أبي موسى). دورية الخطاب، 4.
4. العسل عصام. (2010). فن كتابة السيرة الذاتية (مقاربات في المنهج). لبنان: دار الكتب العلمية.
5. بوخالفة فتحي. (2010). التجربة الروائية المغاربية (دراسات في التفاعليات النصية وآليات القراءة). الأردن: عالم الكتب الحديث.
6. جبور عبد النور. (1984). المعجم الأدبي (الإصدار 2). لبنان: دار العلم للملايين.
7. جليلة طريطر. (2004). مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث (بحث في المرجعيات). مؤسسة سعيدان للنشر.
8. جورج لوكاتش. (1986). الرواية التاريخية (الإصدار 2). (صالح جواد الكاظم، المترجمون) العراق: مركز النشر الجامعي مؤسسة سعيدان للنشر.
9. جورج ماي. (دون سنة نشر). السيرة الذاتية. (القاضي محمد، و صوله عبد الله، المترجمون) تونس: بيت الحكمة.

10. حاج أحمد الصدّيق. (2013). مملكة الزيوان (الإصدار 1). فيسيرا للنشر: الجزائر.
11. حورية الظل. (2014). الفضاء الروائي بين الواقع والتخييل. المجلة العربية، 450.
12. سعيد سلام. (2010). التناسل التراثي (الرواية الجزائرية أنموذجاً) (الإصدار 1). الأردن: عالم الكتب الحديث.
13. سعيد يقطين. (2012). قضايا الرواية العربية الحديثة (الإصدار 01). الرباط، المغرب: دار الأمان.
14. سمر رويحي الفيصل. (2003). الرواية العربية البناء والرؤيا (مقاربات نقدية). دمشق، سوريا: منشورات اتحاد الكتاب العربي.
15. شعيب حليفي. (2006). الرحلة في الأدب العربي، التجنيس -آليات الكتابة - خطاب المتخيل (الإصدار 1). مصر: رؤية للنشر والتوزيع.
16. صلاح فضل. (2005). لذة التجريب الروائي (الإصدار 1). القاهرة، مصر: أطلس للنشر والانتاج الإعلامي.
17. عباس احسان. (1956). فن السيرة (المجلد العدد 04). مصر: دار الثقافة.
18. عبد السلام أقلمون. (2010). الرواية والتاريخ (سلطان الحكاية وحكاية السلطان) (الإصدار 1). لبنان: دار الكتب المتحدة.
19. عبد العزيز شرف. (1992). أدب السير الذاتية. لونغمان، مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع.
20. عبد العظيم القط عبد الحميد. (1980). بناء الرواية في الأدب المصري الحديث. القاهرة، مصر: دار المعارف.
21. عبد اللطيف الحديدي. (1996). فن السيرة بين الذاتية والغيرية في ضوء النقد الحديث (الإصدار 1). القاهرة، مصر: دار السعادة للطباعة والنشر.
22. عبد الله إبراهيم. (2011). التخييل التاريخي (السردي والإمبراطورية والتجربة الاستعمارية). العراق: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
23. عبد الله توفيق. (2012). السيرة الذاتية في النقد العربي الحديث والمعاصر - مقارنة في نقد النقد - (الإصدار 1). الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.
24. فخري صالح. (2010). دراسات في الرواية العربية. الجزائر: منشورات الاختلاف.

25. فليب لوجون. (1994). السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي. (علي عمر حلي، المترجمون) بيروت، لبنان: دار النهضة العربية.
26. فيصل دراج. (2004). الرواية وتأويل التاريخ (نظرية الرواية والرواية العربية) (الإصدار 01). المغرب: المركز الثقافي العربي.
27. محمد الباردي. (2005). عندما تتكلم الذات. دمشق، سوريا: دون دار نشر.
28. محمد القاضي. (2008). الرواية والتاريخ (دراسات في التخييل المرجعي) (الإصدار 1). تونس: دار المعرفة للنشر.
29. محمد صلاح الشنطي. (بلا تاريخ). فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه.
30. محمد عدنان. (2006). إشكالية التجريب ومستويات الإبداع (الإصدار 1). الرباط، المغرب: جذور للنشر.
31. هتشيون ليندا. (دون سنة نشر). رواية الرواية التاريخية (تسليية الماضي) (الإصدار دون طبعة). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.